

مؤتمرات تاريخية

المؤتمر الدولي الخامس عشر للعلوم التاريخية

والرمات المطرمة على عاتق المؤرخين العرب

د. سمور ضاهر

الجامعة اللبنانية

تعقد الجمعية الدولية للعلوم التاريخية مؤتمرها مرة كل خمس سنوات يضم مؤرخين من كافة أرجاء العالم على اختلاف انتماءاتهم العرقية والايديولوجية . وهي مناسبة هامة يتبادل فيها المؤرخون الابحاث والآراء ويتناقشون في جو من الديمقراطية والحوار المثمر حول موضوعات تقدم الى اللجنة خلال السنوات الخمس التي تسبق تحضير المؤتمر وتتم طباعتها وتوزيعها على المشاركين مباشرة قبل انعقاد المؤتمر .

عقد المؤتمر الدولي الخامس عشر للعلوم التاريخية هذا العام في عاصمة جمهورية رومانيا الاشتراكية ، بوخارست ، في الفترة الممتدة ما بين ١٠ و ١٧ آب ١٩٨٠ وبحضور أكثر من ألفين وخمسمائة مؤرخ وباحث في العلوم التاريخية (بلغ عدد الاعضاء المسجلين رسميا في لوائح المؤتمر ٢٦٩١ عضوا) وفدوا من أرجاء العالم كافة .

افتتح الرئيس الروماني نيقولاي شاوشيسكو هذا المؤتمر الضخم الذي لم تشهد مثيلا له مؤتمرات المؤرخين السابقة ، وذلك في قاعة قصر المؤتمرات الكبرى في العاصمة الرومانية . وقد شدد شاوشيسكو في خطابه على الاهمية التاريخية لانعقاد المؤتمر في رحاب بلاده وتمنى على المشاركين تقديم المساهمات العلمية لتعميق الدراسات التاريخية ونشر معرفة افضل حول المشاكل التي تعاني منها مجتمعات اليوم ، ودعا الى تبادل وثيق بين الحضارات البشرية بمعزل عن الانتماء العرقي للقوى المشاركة في صنع تلك الحضارات . وشدد على ضرورة احترام الخصوصيات التاريخية لكل شعب فميزت تطوره وقادته الى بناء دولة قومية معترف بها عالمياً .

وختم الرئيس الروماني كلمته بالقول : « نعيش الآن مرحلة التبدلات الثورية العميقة على كافة المستويات الوطنية والقومية والاجتماعية ، كما نعيش

ايضاً تبدلات نوعية على مستوى ميزان القوى العالمي . فهذه المرحلة التاريخية التي نعيشها اليوم تفسح المجال أمام جميع الشعوب للتعبير عن وجودها الحر وسيادتها الكاملة على أراضيها ، وامتلاك مصيرها بيدها مع المساهمة النشيطة في بناء السلم والاستقرار في العالم . وكلنا ثقة ان تكاتف الشعوب ، بقيادة قواها الاكثر طليعية ، قادر على ترسيخ السلم والاستقرار في العالم وبناء مجتمع جديد تنتفي فيه الحروب ويضمن للشبيبة العالمية اجواء افضل من العدالة الاجتماعية والحرية .

والقيت في حفل الافتتاح كلمات ممثل الاونيسكو ، ورئيس الجمعية الدولية للعلوم التاريخية ، ورئيس الجمعية الرومانية للعلوم التاريخية . فشددوا في كلماتهم على أهمية انعقاد المؤتمر الذي ضم هذا الحشد الضخم من المشاركين وأفسح لهم مجال الاطلاع على انتاج بعضهم البعض ومناقشة أهم القضايا الاجتماعية والسياسية والاثرية ، ودراسة تطور حركات التحرر في العالم ، والمشكلات الرئيسية التي تعترض طريق السلم والاستقرار في العالم . واعتبر البعض ان المؤتمر هو بمثابة « عائلة كبيرة للمؤرخين » ينتج عنها تبادل الافكار والمؤلفات . كما اقترح بعض الخطباء استمرار السعي الدؤوب للجان التاريخية العالمية من أجل الوصول الى فهم أفضل لمشاكل المجتمعات المعاصرة ، بحيث يصبح المؤرخون رسل معرفة وتبادل خبرات في مجال التقارب بين الشعوب والدول بمعزل عن الانظمة السياسية التي تسودها .

لجان المؤتمر :

توزعت أعمال المؤتمر على مدى اسبوع كامل في اطار اللجان الاساسية التالية :

- اللجنة الدولية للدراسات البيزنطية .
- اللجنة الدولية للدراسات السلافية .
- مناهج وطرق دراسة تطور مجتمعات اوربا الوسطى منذ عام ١٩٤٥
- اللجنة الدولية لدراسات عصر النهضة .
- اللجنة الدولية لعلم المسكوكات .
- اللجنة الدولية للتاريخ الاقتصادي .
- اللجنة الدولية للعلاقات بين الشرق والغرب منذ العصور الوسطى .
- اللجنة الدولية لتاريخ الحقوق والشرائع .
- اللجنة الدولية لتاريخ الحركات الاجتماعية .
- اللجنة الدولية للدراسات المتعلقة بجنوب شرق اوربا .

- اللجنة الدولية للتاريخ البحري .
- اللجنة الدولية لتاريخ الحرب العالمية الثانية .
- اللجنة الدولية لتاريخ المؤسسات الدولية .
- اللجنة الدولية للدراسات العسكرية المقارنة .
- لجنة المؤرخين الافارقة .
- اللجنة الدولية لتاريخ المدن .
- اللجنة الدولية لتاريخ الجامعات .
- لجنة اتحاد المؤرخين العرب .
- اللجنة الدولية لعلم المكتبات .
- اللجنة الدولية للدراسات التاريخية المقارنة .
- اللجنة الدولية للدراسات السكانية التاريخية .
- اللجنة الدولية لدراسة العلاقات الدبلوماسية .
- اللجنة الدولية لتاريخ الثورة الفرنسية .
- اللجنة الدولية للصحافة .
- اللجنة الدولية لدراسة الوثائق التاريخية .
- اللجنة الادبية لدراسة التاريخ المعاصر .
- لجنة المؤرخين الاوروبو - امريكيين لاتينيين .
- لجنة الدراسات التاريخية حول ثورات ١٨٣٠ الاوروبية .
- اللجنة الخاصة بجمع الوثائق العالمية والمتعلقة بتاريخ الولايات المتحدة الاميركية .
- اللجنة المهمة بكيفية تطبيق الرياضيات في الدراسات التاريخية .
- اللجنة الدولية للآثار القديمة .
- اللجنة الدولية للتاريخ الحديث .
- اللجنة الدولية للتاريخ المعاصر .

وبالإضافة الى هذه اللجان الاساسية ، عقدت في اطار المؤتمر اجتماعات خاصة للجان محلية او ذات علاقات ثنائية بين مؤرخين من بلدان مختلفة بهدف تعميق العلاقة الثنائية وتبادل الخبرات والوثائق في مجالات متنوعة .

وقد تم توزيع الاعضاء المؤتمرين في رحاب جامعتي بوخارست الاولى والثانية ، وفي قاعة المؤتمرات الكبرى ، وفي المسرح الروماني الكبير وفي المتحف العسكري ومتاحف العاصمة الرومانية .

التقارير التي قدمت للمؤتمر :

طبعت التقارير المقدمة الى المؤتمر قبل آذار ١٩٨٠ بمساعدة مالية من الاونيسكو ووزعت على المؤرخين في ثلاثة مجلدات منذ اليوم الاول لانعقاد المؤتمر . اما الابحاث التي وردت الى امانة السر بعد ذلك التاريخ فقد اشير فقط الى الباحث وعنوان البحث استناداً الى النظام المعمول به في الجمعية الدولية للعلوم التاريخية . وجاءت التقارير مطبوعة باحدى اللغات الرسمية الخمس المعتمدة في المؤتمر وهي : الفرنسية والانكليزية والروسية والالمانية والاسبانية . كذلك وعدت امانة السر بنشر المناقشات في مجلد رابع يرسل الى عناوين المشاركين ويتضمن تقارير اللجان والمناقشات الخطية المقدمة الى امانة سر اللجان او امانة سر المؤتمر طيلة فترة انعقاد المؤتمر .

بلغت صفحات المجلد الاول اكثر من سبعمائة صفحة دارت عناوينها ضمن محورين فقط :

اولا - احداث تاريخية بارزة .

ثانيا - موضوعات منهجية .

اهم التقارير التي عالجت أحداثاً تاريخية بارزة تركزت حول الموضوعات التالية :

— أوروبا الشرقية كمركز لتلاقي الحضارات العالمية . قدم الابحاث مؤرخون من بلغاريا ، الولايات المتحدة الاميركية ، فنلندا ، والاتحاد السوفياتي .

— مشكلات السلم عبر التاريخ . قدم الابحاث مؤرخون من فرنسا واليابان .

— الدول المتحدة والدول المتعددة القوميات . ركز المؤرخون ابحاثهم حول موضوع « الدولة الاتحادية ومبادئ الوحدة عبر التاريخ » وقدمت نماذج من تاريخ اسبانيا ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، المانيا الديمقراطية ، اليابان ، والاتحاد السوفياتي .

— مشكلات المرأة في المجتمعات القديمة والحديثة . تناولت الابحاث نماذج من مشكلات المرأة السوفياتية والاميركية والفرنسية .

المحور الثاني تناول دراسات في موضوعات منهجية اهمها :

— حول لفظة المؤرخ : وقدمت أبحاث من المانيا الغربية ، ايطاليا ، المانيا الديمقراطية ، بريطانيا ، بولونيا ، رومانيا .

— **حول موقع وأهمية تدريس التاريخ في المدارس الثانوية والجامعات الحديثة** : قدمت فيها أبحاث من الاتحاد السوفياتي وبلجيكا وكندا وفنزويلا وإيطاليا واليابان ومنغوليا ورومانيا ويوغوسلافيا .

— **حول مبادئ وطرائق التاريخ الشفوي غير المكتوب** : قدمت فيها أبحاث من السنغال ونيجيريا وإسبانيا وبريطانيا وهنغاريا والنرويج والولايات المتحدة الأمريكية .

— **حول مبادئ وطرائق علم السكان وعلم البيئة وكيفية الاستفادة منها في الدراسات التاريخية الشمولية** : قدمت فيها أبحاث من بلجيكا وفرنسا وإيطاليا وهولندا ورومانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا .

يلاحظ ان مناقشات لجان المنهجية كانت تضم أعداداً كبيرة من المشاركين بالمؤتمر . وكانت الكلمات التي تلقى تترجم مباشرة الى اللغات الرسمية الخمس المعتمدة في أعمال المؤتمر . وحافظت اللجان المنهجية على نسبة حضور مرتفعة جداً طوال فترة انعقاد المؤتمر مما يدل على الأهمية القصوى التي يوليها المؤرخون للدراسات المنهجية وآفاق تطورها وكيفية الاستفادة من خبرات بعضهم البعض في مجال تعزيز الكتابة التاريخية العلمية .

وقد ابرز نقاش المؤتمرين مدى أهمية الوثائق الشفوية كمصادر أساسية لدراسة التاريخ المعاصر والاتصال بماضيها عبر ما اختزنته ذاكرة الناس من حكم وامثال وعادات وتقاليد وفولكلور وغيرها من المصادر التي يمكن تسجيلها وتحليلها والاستناد اليها في الكتابة التاريخية العلمية .

تقارير المجلد الثاني ناهزت الثمانماية صفحة ضمن عنوان رئيسي واحد : **أحداث تاريخية** واندرجت الابحاث ضمن المحاور التقليدية المعروفة : تاريخ قديم ، وسيط ، حديث ، ومعاصر .

١ - **في التاريخ القديم** : ركز الباحثون على نقطتين فقط :

١ - **حول علاقات الشرق والغرب** : وتضمن أبحاثا من اليابان والاتحاد السوفياتي وهنغاريا حول مفهوم الدولة في آسيا القديمة ، والعلاقات المتبادلة بين اليونان وشعوب البحر الاسود ، وروابط أوروبا الشمالية والشرقية بالامبراطورية البيزنطية .

ب - **حول الحضارات والمجتمعات القديمة** : قدمت فيها أبحاث من الدانمارك ورومانيا حول دور الرجل والمرأة في أثينا ، والداشيون وحضارتهم .

٢ - **في تاريخ العصور الوسطى** : عولجت فيه أيضا نقطتان في اطار المؤتمر :

١ - **حول التبدلات الاجتماعية والاقتصادية في العصور الوسطى :** قدمت فيها أبحاث من تركيا وفرنسا وإيطاليا تناولت الموضوعات التالية : التيارات الفكرية العقلانية في الشرق الأوسط في القرن الحادي عشر للميلاد ، بنى العائلة الغربية في العصور الوسطى ، مدخل لدراسة وثائق العصور الوسطى .

ب - **حول العلاقات التجارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى :** قدمت أبحاث من الدانمارك وفنلندا وقبرص تناولت الموضوعات الآتية : أوروبا وتجارة بحري الشمال والبلطيق ، بيزنطية والبلدان السكندنافية ، قبرص كمحطة هامة بين الشرق والغرب إبان الحروب الصليبية .

٣ - في التاريخ الحديث تم التركيز على ثلاثة موضوعات أساسية :

١ - **حول العلاقات بين الشعوب والقارات :** قدمت فيه أبحاث من قبرص ويوغوسلافيا وكندا . أهم موضوعاتها : التكون العرقي لشعوب السلطنة العثمانية عبر التاريخ ، وهو بحث بالغ الأهمية ، مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ ، الرؤيا الفرنسية لأميركا في القرنين السادس عشر والسابع عشر - دراسة وثائقية .

ب - **علاقة الفكر بالمجتمع في العصر الحديث :** قدمت فيه أبحاث من إيطاليا ورومانيا وتركيا وبولونيا . أبرز الموضوعات : المثقفون والسلطة في إيطاليا عصر التنوير في أوروبا الشرقية وآثاره السياسية ، المؤسسات الوقفية ودورها الاقتصادي والاجتماعي في السلطنة العثمانية ، ثورات ١٨٣٠ في أوروبا وآثارها الإصلاحية .

ج - **أثر العوامل الاقتصادية في التاريخ الحديث :** شارك فيها مؤرخون من السويد والولايات المتحدة الأمريكية . أما أبرز الموضوعات المقدمة فهي :

الركائز الاقتصادية لتكون المجتمعات السلافية الحديثة ، ورد الفعل الصيني على اختراق التجارة الغربية للمجتمعات الآسيوية منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين .

٤ - في التاريخ المعاصر تم التركيز على أربعة موضوعات رئيسية هي :

أ - **في العلاقات الدولية المعاصرة :** قدمت فيها أبحاث من اليابان والفاتيكان وكندا ، أبرز التقارير انهيار النظام الإمبريالي العالمي ومشكلة السلم في آسيا

في القرن العشرين ، الدبلوماسية البابوية في شرقي أوروبا بين الحربين العالميتين ،
الاتحاد الانكليزي ١٩١٩ - ١٩٣٩ .

ب - **علاقة السياسة الداخلية بالتطور الاقتصادي** : قدمت فيها دراسات
من ايطاليا والمانيا الغربية وفرنسا وهنغاريا والنرويج . ابرز الموضوعات :
النمو والتخلف في عالم القرن العشرين ، العلاقة بين المؤسسات والثورة الصناعية
في فرنسا في القرن العشرين ، اقتصاد النرويج بعد الحرب العالمية الثانية .

ج - **دراسات في تطور المجتمعات الحديثة** : قدمت فيها نماذج من الاتحاد
السوفييتي وبولونيا ورومانيا وفنلندا . ابرز الموضوعات : الاصلاح الزراعي في
أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، الاثر الاجتماعي والثقافي للمؤسسات
الرياضية .

د - **ادارة المصانع ونظام العمل في القرن العشرين** : قدمت فيها نماذج
من ايطاليا ، فرنسا ، بريطانيا ، الولايات المتحدة الاميركية ، الاتحاد السوفييتي ،
يوغوسلافيا ، والنرويج .

اهم التقارير : العمل والادارة في القرن العشرين في كل من الولايات المتحدة
الاميركية والنرويج وبريطانيا وايطاليا ويوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي .

اما تقارير المجلد الثالث فقد ناهزت الاربعمائة صفحة تقدمت بها اللجان
الدولية واللجان الوطنية او المحلية المشاركة بالمؤتمر .

ابرز الموضوعات التي تقدمت بها اللجان التاريخية الدولية هي التالية :

— **اللجنة الدولية للدراسات البيزنطية** قدمت بحثا حول جزر بحر
ايجه بعد معركة منكرت (١) .

— **اللجنة الدولية للتاريخ الاقتصادي** قدمت بحثا حول : التخلف
الاوروبي في مرآه العلاقة بين الشرق والغرب في القرن التاسع عشر .

— **اللجنة الدولية لتاريخ الحقوق والمؤسسات** : قدمت ثلاثة ابحاث
حول : الزواج في أوروبا الغربية في العصور الوسطى ، والزواج في العالم
الاسلامي - وهو البحث العربي الوحيد في المؤتمر تقدم به باحث مصري غير
معروف هو الشخنخيري - والزواج الافريقي المعاصر .

— **اللجنة الدولية لتاريخ الحركات الاجتماعية عبر العصور** . قدمت
أبحاثا حول المؤسسات الصغيرة وتحولها الى مصانع كبرى منذ القرن الثامن عشر

..... مع المؤتمرات التاريخية

حتى اليوم . وقدمت فيه نماذج من هذا التحول في القارات الخمس .

— **اللجنة الدولية للتاريخ البحري** قدمت بحثاً حول التعريف بالوسط البحري والعاملين فيه .

— **اللجنة الدولية للحرب العالمية الثانية** ركزت بحثها حول موضوع الدعاية خلال الحرب العالمية الثانية . وهذه اللجنة تعقد مؤتمرات سنوية لدراسة وثائق الحرب العالمية الثانية .

— **اللجنة الدولية لتاريخ الدول الحديثة** قدمت بحثين حول : الدول المنفردة وعلاقاتها الثنائية والدولة الحديثة والمؤسسات البرلمانية وهو بحث بالغ الأهمية .

— **اللجنة الدولية لدراسة التاريخ العسكري المقارن** قدمت بحثاً حول التطور التاريخي لعلاقة الدولة بالجيش .

— **لجنة المؤرخين الافارقة** قدمت بحثاً حول استقلال السنغال .
اما ابرز الموضوعات التي تقدمت بها اللجان التاريخية الوطنية او المحلية فهي التالية :

— **اللجنة الدولية لدراسة التاريخ الديني المقارن** قدمت بحثاً بعنوان :
اوروبا الشرقية ملتقى الحضارات الدينية .

— **اللجنة الدولية لعلم السكان** قدمت بحثاً بعنوان مساهمة علم السكان في دراسة التاريخ الشمولي .

— **اللجنة الدولية لتاريخ الجامعات** قدمت بحثاً بعنوان تطور تقنية التعليم في الجامعات منذ تأسيسها حتى الحرب العالمية الاولى .

— **اللجنة الدولية للتاريخ الدبلوماسي** قدمت بحثاً بعنوان : من أجل قواعد عامة وشاملة لقضايا نشر الوثائق والسجلات المالية والادارية وسندات المساحة والمراسلات السياسية وغيرها .

— **اللجنة الدولية لتاريخ الثورة الفرنسية** قدم أمين سرها المؤرخ الفرنسي المعروف البرير سوبول بحثاً طويلاً وبالع الأهمية بعنوان « الملكيات العقارية وشروط تملك الارض في اوروبا زمن الحروب النابوليونية » وكانت مناقشة هذا البحث غنية جداً .

لقد استعرضنا هنا ابرز الموضوعات المسجلة في المجلدات الثلاثة مع الاشارة الى ان عدداً وافراً من الابحاث وصل متأخراً واشير اليه فقط باسم

المؤلف وعنوان البحث دون ان يتسنى لنا الاطلاع عليه . كذلك هناك ابحاث صغيرة وتعليقات مقتضبة لم نشر اليها في هذا التعريف بموضوعات المؤتمر .

وقد توخينا من خلال هذا العرض المستفيض حول موضوعات المؤتمر ابراز جملة من الوقائع التاريخية العلمية منها :

١ - أن اهتمامات المؤرخين المعاصرين في العالم كله لم تعد كالسابق مجرد رصد للظواهر السياسية ودراستها وتحليلها بل باتت الدراسات التاريخية ذات المنحى السياسي موضوع اهتمام نقر قليل جدا من المؤرخين . فالتطور الاجتماعي ، بشموليته السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والعسكرية والادارية وغيرها ، يشكل محور نشاط التاريخ العالمي في الربع الاخير من القرن العشرين .

ب - ان منهجية البحث وطرائق الكتابة التاريخية المعاصرة شكلت مركز استقطاب غالبية المشاركين في المؤتمر بحيث كانت قاعة قصر المؤتمرات تفص يومياً بأعداد كبيرة منهم ويضطر بعضهم للوقوف فترة زمنية طويلة ليجد مكاناً لجلوسه . وتتم ترجمة الكلمات مباشرة الى اللغات الخمس الرسمية المعتمدة في أعمال المؤتمر . وكانت المناقشات ذات طابع علمي في محاولات لتقديم تجارب المؤرخين من البلدان كافة وطرح مشكلات دراسة التطور التاريخي للمجتمعات التي ينتسبون اليها . كذلك برزت محاولات حثيثة للخروج بجامع مشترك حول حقائق العصر التي أفرزتها عملية الانتقال من المجتمعات ما قبل الرأسمالية الى نمط الانتاج الرأسمالي ومنه الى نمط الانتاج الاشتراكي في بعض البلدان . وهذه المحاولات التوحيدية لا تلغى فوارق التحليل على أساس منهجيات علمية متباينة بل تشدد على تلك الفوارق شرط ان يكون هدف التحليل ابراز دور الانسان في صنع تاريخه بنفسه والفاء كل ما يعوق عملية التطور الاجتماعي من عوامل موضوعية ناتجة عن صراع الانسان مع الطبيعة أو عن استغلال الانسان للانسان .

ج - ان الحواجز المصطنعة بين العلوم الانسانية غابت عن أعمال المؤتمر بحيث برز التاريخ الاجتماعي كعلم شمولي يضم كل العلوم الانسانية ويتجاوزها لابرار عملية التطور الاجتماعي بجميع جوانبها . فقد ضمت أبحاث المؤتمر نماذج من مختلف جوانب الحياة البشرية . فهناك أبحاث تصنف عادة في لائحة تاريخ الحضارات أو علم السياسة ، أو علم الشرائع ، أو مشكلات المرأة ، أو علم

الاجتماع ، او الرياضيات ، او علم السكان ، او علم دراسة البيئة ، او علم الجغرافيا البشرية ، او علم الآثار ، او علم المسكوكات ، او تاريخ الفكر والمذاهب ، او علم الاقتصاد او تاريخ المدن او تاريخ المجتمعات الزراعية ... وغيرها الكثير.

وبهذه الشمولية الفنية جدا تبرز أهمية العبارة الشهيرة لكارل ماركس :
« لم تعرف البشرية سوى علم واحد هو علم التاريخ » .

د - ان الاهتمام بالكتابة التاريخية المعاصرة يشكل أحد هواجس المؤرخين الأساسية . فلم تعد الكتابة التاريخية مجرد تسجيل وتحليل للأحداث بل تركز اهتمام المؤرخين على الربط بين الكتابة التاريخية المعاصرة وبين تنشئة الاجيال الجديدة . وحظيت هذه الناحية بنقاش استمر يوما كاملا شارك فيه مؤرخون من مختلف بلدان العالم ، وقدمت فيه أبحاث ووثائق ودراسات نقدية لعدد وافر من الكتب التاريخية المقررة في المدارس الثانوية والجامعات في البلدان الرأسمالية والاشتراكية على السواء . وكانت حصيلة تلك المناقشات ضرورة انقاذ الشببية من برائن النظريات العرقية والفاشية وإدانة التوجهات الشوفينية والعنصرية والعسكرية عند الكثير من الانظمة المسيطرة وكان هناك اجماع على رفض مبدأ الحرب كوسيلة لحل المشكلات الدولية المعاصرة وضرورة تجنب البشرية ويلات حرب عالمية جديدة وتنشئة الاجيال الجديدة على مبادئ حرية الشعوب في حق تقرير مصيرها دون ضغوط او تدخل خارجي .

هـ - بالرغم من وجود عدد وافر من الابحاث يشدد على ربط حاضر بعض الدول بماضيها « القومي » القديم (برز هذا الاتجاه لدى المؤرخين الرومان الذين قدموا الكثير من الابحاث بمناسبة مرور الفين وخمسين سنة على ولادة الدولة الرومانية ايام الداشين) فان الطابع الغالب للمؤتمر كان ينحو باتجاه رصد تطور المجتمعات المعاصرة على اساس نتائج المرحلة الرأسمالية التي وحدث السوق العالمية وما اعقب هذه المرحلة من قيام النظام الاشتراكي اي ان الصراع الدائر منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم يتمحور ضمن عملية الانتقال من المجتمعات السابقة على الرأسمالية ومنها الى الاشتراكية . لذا كانت جميع ابحاث المؤتمرات تشدد على هذه العملية كاحدى بديهيات حقائق العصر الذي نعيش فيه .

و - ملاحظة أخيرة في هذا المجال : ان تنوع الكتابة التاريخية المعاصرة وشموليته بات يطرح بالحاح ضرورة تجاوز المؤرخ الفردي الى البحث التاريخي الجماعي . فليس بمقدور باحث فرد ان يلم بمحتويات هذا العدد الوافر جدا من الابحاث

والمناقشات . وانسجاما مع هذه النظرية الجماعية في الكتابة التاريخية الشمولية تقدمت بعض الدول ، الاشتراكية منها والراسمالية على السواء ، بأبحاث مؤرخيها ضمن كتب معدة خصيصا للمشاركة بأعمال المؤتمر . وكانت بعض الكتب تحمل العنوان الموحد التالي مثلا : « بولونيا في المؤتمر الخامس عشر للعلوم التاريخية » . كذلك بلغاريا والاتحاد السوفياتي ، وفرنسا ، ورومانيا ، واسبانيا وغيرهم . وهذه الكتب تضم أبحاث مؤرخي هذه البلدان بين مؤتمرين ومطبوعة باللغات الخمس الرسمية المعتمدة في المؤتمر وهي تعطي صورة وافية عما وصل اليه التاريخ في تلك الدول . كما أصدرت بعض البلدان أعدادا وثائقية من المجلات التاريخية بهذه المناسبة .

توصيات المؤتمر :

بناء على توصية من اللجنة الدولية لمؤرخي اميركا اللاتينية تم اعتبار ١٩٨٠ عام سيمون دو بوليفار ، أحد قادة التحرر الوطني في اميركا اللاتينية ، وذلك بمناسبة الذكرى المئة والخمسين على وفاته . كذلك تمت توصية بضرورة احياء ذكره عام ١٩٨٣ بمناسبة مرور مئتي سنة على ولادته . ورفع المؤرخون العرب المشاركون في المؤتمر الى امانة سره التوصية التالية :

« ان المؤرخين العرب المجتمعين في المؤتمر الدولي الخامس عشر للعلوم التاريخية المنعقدة في بوخارست ما بين ١٠ - ١٧ آب ١٩٨٠ ، شعورا منهم بمدى المساهمة العلمية الفعالية للتراث العربي في مجال العلوم التاريخية ، يطلبون من رئاسة المؤتمر اعتماد اللغة العربية احدى لغات العمل الرسمية في المؤتمر وذلك تمثيلاً مع مقررات الاونيسكو بهذا الشأن » .

وقد وقع الطلب المؤرخون العرب المشاركون في المؤتمر من لبنان وتونس والمغرب والعراق والسودان ومصر ومنظمة التحرير الفلسطينية . ووعدت القيادة الجديدة التي انتخبت في نهاية المؤتمر بدراسة هذا الطلب والعمل على تنفيذه في المؤتمر القادم . كذلك تم اعتماد توصيات جماعية بضرورة فتح ابواب المحفوظات (الارشيف) امام جميع الباحثين بحيث تتم الاستفادة القصوى من الوثائق في مجال الدراسات التاريخية وغيرها ، وبضرورة حماية الاماكن الاثرية والمخطوطات التاريخية وتجميع المستندات والوثائق واقامة مراكز خاصة بها في الجامعات والمعاهد العلمية والمكتبات العامة وغيرها .

بعض الملاحظات الختامية :

من خلال هذه اللوحة الوصفية الواسعة لاعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر للعلوم التاريخية تبرز ملاحظات عدة :

أ - ان هذا المؤتمر هام جداً ينعقد مرة كل خمس سنوات باشراف الاونيسكو وبمساعدة مالية منه لطبع الابحاث وتوزيعها على المشاركين فقط .
اي أن أكبر مرجع ثقافي في العالم هو الذي ينظم فعليا هذا المؤتمر الذي تشارك فيه وفود من غالبية دول العالم ، على اختلاف انظمتها السياسية ، وبأعداد كبيرة جدا في بعض الاحيان .

ب - ان الاعداد لابعاث المؤتمر يتم طيلة السنوات الخمس التي تفصل بين مؤتمرين بحيث تأتي الابحاث علمية وجادة في معظم الاحيان لان للباحث حرية اختيار الموضوع ضمن أي حقل من حقول المعرفة التاريخية التي أشرنا إليها ، وهي حقول كثيرة ومتشعبة وتطال تطور المجتمع البشري من كافة جوانبه .

ج - ان الجمعية الدولية للعلوم التاريخية هي التي تنظم المؤتمر وتشرف على تجميع الابحاث وتنسيقها وطباعتها ولا يحق تقديم الابحاث في المؤتمر الا للدول المشاركة في الجمعية الدولية عبر جمعيات وطنية أو محلية تاريخية تسدد اشتراكها السنوي باسم الدولة التي تنتسب باسمها . وتجدر الملاحظة هنا الى ان معظم الدول العربية ليست أعضاء في هذه الجمعية بل هناك انتساب باسم اتحاد المؤرخين العرب الذي كان شبه غائب عن أعمال المؤتمر الخامس عشر .

استناداً الى هذه الملاحظات الاولى نحاول رصد الدور العربي في المؤتمر الدولي الخامس عشر للعلوم التاريخية الذي انعقد في بوخارست هذا العام .

أ - لقد تميز هذا المؤتمر بالغياب شبه الكامل للدول العربية عن اعمال المؤتمر وابحائه . فلم تشهد المجلدات الثلاثة بصفحاتها التي تناهز الالفين اسم مؤرخ عربي واحد قدم بحثاً اصيلاً في حقل من المعرفة يعتبر العرب من رواده الاوائل أي حقل الدراسات التاريخية . فقط باحث مصري شبه مغمور هو هو الشخنخيري قدم بحثاً سريعاً حول الزواج الاسلامي .

ب - هناك عدد وافر من المؤرخين العرب سجلوا اسماؤهم في عداد المشاركين بالمؤتمر لكنهم لم يحضروا أعماله [ونذكر منهم على سبيل المثال

لا الحصر عبد الله العروى ، وحسين أمين ، وعبد القادر زبادية ، وسعود عطية وغيرهم [. وكان حضورهم سيشكل دون شك عنصراً ايجابياً في تعزيز الدور العربي في أعمال المؤتمر .

ج - ونظراً للغياب شبه الكامل لاتحاد المؤرخين العرب على الصعيدين العربي والعالمي وعجزه عن تأطير وبرمجة حضور المؤرخين العرب في الندوات الدولية كانت الجلسات المخصصة لاتحاد المؤرخين العرب والتي كان مقرراً لها ان تمتد طوال يومين كاملين ، اكثر جلسات المؤتمر فشلاً ان لم نقل الفشل الوحيد الذي اصاب لجان المؤتمر . فقد كان برنامج المؤتمر يضم اربع جلسات مخصصة لاتحاد المؤرخين العرب تقدم فيها ابحاث مكتوبة حول الموضوعات التالية :

- ركائز الحضارة العربية ، بحث يقدمه فيصل السامر .
- طرائق البحث لدى المؤرخين العرب ، بحث يقدمه عبد القادر زبادية .
- نشاطات اتحاد المؤرخين العرب ، بحث يقدمه حسين أمين .
- مفهوم التطور في الدراسات التاريخية ، بحث يقدمه عوض خليفات .

ان اياً من هذه الابحاث لم يقدم للمؤتمر بل وفد عدد كبير من الباحثين والمهتمين بنشاطات المؤرخين العرب ، ومنهم رئيس اللجنة الدولية للعلوم التاريخية ليجدوا القاعة المخصصة لابحاث المؤرخين العرب مغلقة وخالية في اليوم الاول . . ولا بد من التنويه بمحاولة بعض المؤرخين العرب المشاركين في المؤتمر لانقاذ سمعة اتحاد المؤرخين العرب اذ قدموا ابحاثاً شفوية حول الموضوعات المطروحة ونشطت اللجنة جزئياً في اليوم الاول وبشكل مقبول في اليوم الثاني لكن تنشيط اللجنة استناداً الى المؤرخين العرب الوافدين للمشاركة بالمؤتمر قد تم دون اي تنسيق مسبق مع اتحاد المؤرخين العرب الذي فاجأ مندوبه الحضور في اليوم الثاني ببحث حول اثر الرحالة العرب في تاريخ الشرق الاقصى في العصور الوسطى .

واذا كنا نسوق هذه الملاحظات القاسية حول الدور المفروض لاتحاد المؤرخين العرب فان غياب هذا الدور كان مؤلماً اذ انعكست نتائجه على المؤرخين العرب . وكان بإمكان الاتحاد القيام بأعمال ذات اثر ايجابي واضح للتعريف بنشاطات المؤرخين العرب المعاصرين واسهامهم في جميع المجالات التاريخية

..... مع المؤتمرات التاريخية

التي تنضوى في ظلها لجان المؤتمر . وليس مقبولا غياب الاتحاد عن مؤتمر عالمي يشارك فيه الفان وسبعماية مؤرخ من مختلف بقاع العالم ولهم تأثير مباشر على ملايين الطلبة وال جماهير الشعبية ، سيما وأن الترتيبات الادارية لمشاركة الاتحاد قد أعدت بالكامل وسجلت الندوات وحددت الاسماء للمشاركة في أعمال المؤتمر .

د - وقد استتبع الغياب العربي عن أعمال المؤتمر غياب آخر عن معرض الكتب التاريخية الذي نظم باشراف الاونيسكو والجمعية الدولية للعلوم التاريخية وذلك في قاعات معهد الفنون الجميلة في جامعة بوخارست . فمن المعروف جيدا أن الدراسات التاريخية العربية ، القديمة والمعاصرة ، هي من الكثافة والتنوع بحيث تغطي صالات كثيرة في المؤتمر لكن اللافت للنظر أن اتحاد المؤرخين العرب شارك بكتيبات قليلة لا تتمتع بسمعة علمية جيدة في حين كان الحضور الاسرائيلي لافتا للنظر . وليس من قبيل الصدفة أن يكون عرض النتاج العربي الضحل جنبا الى جنب مع الجناح الاسرائيلي الغزير النتاج ، اذ تكفي المقارنة بين الجناحين لمعرفة الخلفيات الدعائية لاسرائيل من جراء هذا العرض امام جماهير الباحثين والمشاركين بأعمال المؤتمر .

هـ - واستتبعاً لنفس الخطة لم يحظ المؤرخون العرب ، المشاركون رسميا أو أفراديا أو بدون رغبة دولهم في بعض الاحيان ، برئاسة اي من لجان المؤتمر طوال فترة انعقاده على مدى اسبوع كامل وبمعدل مرتين في اليوم الواحد . في حين حظي الوفد الاسرائيلي باهتمام خاص وتولى مندوبه رئاسة عدة لجان منها أكبر لجنة في المؤتمر ، أي لجنة المنهجية . وتجدر الملاحظة أن سكرتاريا المؤتمر وبعض المؤرخين الرومان أبدوا استعدادا وترحيبا لابرار دور المؤرخين العرب وتقديم كافة التسهيلات لهم لمناقشة التقارير وتسجيل الكلمات في وثائق المجلد الرابع المزمع اصداره قريبا . فاتحاد المؤرخين العرب أو بالاحرى الدول العربية هي التي تتحمل مسؤولية غياب مؤرخيها عن ساحة هامة جدا من ساحات الصراع الايديولوجي ضد العدو الصهيوني في ظروف كانت مهياة تماما لخوض معركة ناجحة في أضخم محفل علمي تاريخي يعقد حتى الان .

بقي أن نشير في ختام هذه الدراسة الى أن المؤتمر الخامس عشر للعلوم التاريخية الذي انعقد في بوخارست هذا العام كان حدثا علميا هاما في مسيرة تلاقي الباحثين في الحقل التاريخي ومناقشة انتاجهم بهدف الوصول الى معرفة

..... د. مسعود ضاهر

اكثر دقة بتطور مجتمعاتهم وتطور البشرية كلها . واذ سجل المؤرخون العرب حضورا افراديا ورسما افضل بكثير من المرات السابقة (زاد حضور المؤرخين العرب في مؤتمر بوخارست على العشرين مؤرخا مقابل ثلاثة في مؤتمر سسان فرنسيسكو عام ١٩٧٥) فان دورهم الاساسي يكمن في تلافي التقصير السابق والاعداد الجيد للمؤتمر السادس عشر للعلوم التاريخية المزمع عقده في المانيا الغربية عام ١٩٨٥ .

ان الصراع الابدلوجي ، والحقل التاريخي أحد ساحاته الرئيسية ، يلعب دورا أساسيا في معركة العرب ضد اسرائيل وما تمثله من متداد للقوى الامبريالية العالمية . وعلى المؤرخين العرب تجنيد طاقاتهم في هذه المعركة ، ليكشفوا عن دورهم الحقيقي الفعال في مسيرة الحضارة الانسانية .

(١) يسميها المؤرخون العرب : مناز جرد ، ومناز كرد ، وملاز كرد ، وبها كانت الواقعة الشهيرة التي هزم فيها السلاجقة البيزنطيين عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، انظر : تاريخ ابن الاثير ، ١٠ : ٢٦ - ٢٨ ، ومعجم البلدان - مناز جرد (المجلة) .